قضايا التحرر الوطني في الأدب العربي

بقلم الدكتور زكي نجيب محمود

ـ ١ ـ

لم يكد المستعمر البريطاني يمس الارض العربية في مصر (١٨٨٢) حتى انعكس حضوره على الادب في صور شتى من المقاومة ، يمكن تقسيمها من حيث الصفة الغالبة عليها مراحل ثلاثا ، كان للمقاومة في كل مرحلة منها خاصة مميزة ، اما المرحلة الاولى فقد امتدت من لحظة الاحتلال الى نهاية الحرب العالمية الاولى ، جاءت المقاومة خلالها تنبيها مباشرا للناس أن يستيقظوا للخطر الداهم ، الذي أحاق بالوطن والعقيدة ، واما المرحلة الثانية فقد امتدت خلال فترة ما بين الحربين ، وفيها أضيفت الى الادب السياسي المباشر ، الذي اشتعل بالدعوة الى الحرية والاستقلال عقب الثورة الوطنية عام ١٩١٩ ، أقول انه قد أضيفت الى هذا الادب السياسي المباشر خلال المرحلة الثانية بحوث في الحرية من حيث هي كذلك ، كانت ما كانت جوانبها وميادينها ، وسرعان ما ألحقت بهذه البحوث النظرية ، سير لابطال الحرية تجسدت للناس معانيها في رجال عاشوها ، وقد اختير هؤلاء الابطال من الغرب تارة ومن التاريخ العربي تارة ، ثم جاءت المرحلة الثالثة لتمتد من الحرب العالمية الثانية الى يومنا هذا ، منقسمة شطرين : في أولهما كان الاستعمار عسكريا سافرا ، وفي ثانيهما أخذ يتسلل في خفاء الى حياتنا الفكرية بغير جند ولا سلاح ، على ان المقاومة ـ كما انعكست في الادب ـ خلال هذه الفترة الثالثة بشطريها، قد اتسمت بطابع واحد متصل ، هو طابع ايجابي بالقياس الى الطابع السلبي الذي ميز المرحلتين الاوليين ، اذ اتخذت المقاومة هذه المرة طريق البناء لثقافة جديدة ، تحمل خصائصنا القومية الاصيلة ، وتفتح ابوابها ـ في الوقت نفسه ـ لعوامل التطور الحضاري الحديث ، وذلك رغبة منا في تقرير ذواتنا ، وتحصين وجودنا الشخصي المتميز الفريد .

ولم يكن الادب العربي في مصر ، خلال هذه المراحل الثلاث جميعا، ليقصر مقاومته على أرض مصر وحدها ، منزوعة من الوطن العربي الكبير ، أو معزولة عن حركات التحرر التي أخذ مداها يتسع في أرجاء مختلفة من اسيا وافريقيا ، بل كانت الامة العربية بأسرها هي مجال الكتابة عند الكاتبين ، كما كانت البلاد الاسلامية ، وكل بلاد اخرى تطالب بحريتها من مستعمر غاصب ، موضوعا لا يغيب عن سياق الحديث ، كلما مس الحديث قضية من قضايا التحرر الوطني .

ـ ٢ ـ

احتل الانكليز أرض مصر ، فرحل عنها جمال الدين الافغاني ، ونفي الشيخ محمد عبده ، ثم ما لبث القلبان ان التقيا معا في باريس ليصدرا جريدة العروة الوثقى ، ناطقة بالدعوة الى مقاومة الموجة الاستعمارية العارمة التي أخذت تطغى على أقطار الشرق بعامة ، والى تحرير مصر من الاحتلال البريطاني بصفة خاصة ، وان القارىء ليطالع على صفحات الاعداد الثمانية عشر التي صدرت من العروة الوثقى ـ وقد صدر العدد الاول قبل أن ينقضي على الاحتلال البريطاني عامان ـ صيحات قوية تنبه من غفا وتوقظ من استنام : « اننا لو نادينا الغافلين ان انتبهوا ، والنائمين ان استيقظوا ، واللاهين بحظوظهم أو أمانيهم وأوهامهم أن التفتوا ، ولو أنذرنا أهل مصر بأن الانكليز لو ثبتت اقدامهم في ديارهم ، تحاسبوا أنفاس على هواجس أنفسهم ، وخطرات قلوبهم ، بل على استعداد عقولهم لما عساه يخطر ببالهم ، لقال الناس اننا نبالغ في الانذار ونفرق في التحذير » (العدد الخامس من العروة الوثقى) .

وحسب القارىء أن يقرأ المقالة الاولى من العدد الاول ـ وكان عنوانها « مصر » ـ ليرى بأي بلاغة عربية مبينة ، وصفت حالة البلاد عندما أخذت أصابع المستعمر تعبث بأمورها : « وأأسفاه على حالة الاهالي بعد هذا . حكم من لا دافع لحكمه بطرد الاف من الوطنيين الموظفين في دوائر الحكومة ، وما منهم أحد الا ويتبعه عائلة وأولاد ، ولا فوت لهم الا من مرتب عائلهم ... ان صدى أنينهم يتلى في صفحات الجرائد الوطنية العربية والافرنجية ، وسيتبع السابقين منهم اللاحقون، حتى لا يجد وطني منهم في البلاد من المهن ، الا ما يليق بالانكليزي تعاطيه من سفاسف الامور ، كما هو في البلاد الهندية . وزاد الويل بمحق الحرية الشخصية ، والاخذ بالشبه ـ وان ضعف ـ واتباع بواطل التهم ـ وان بعدت او استحالت ـ حتى أخذ الفزع من القلوب مأخذه ، وبلغ منها مبلغه ، فلا يرى مارا بطريق الا وهو يلتفت وراءه لينظر هل تعلق بأثوابه شرطي يقوده للسجن ، أو يقتضي منه فداء ، وكل معروف الاسم من المصريين ينتظر في كل خطوة عثرة ، وفي كل نهضة سقطة ... أي شقاء ينتظره في حياته أشنع من هذا » .

بمثل هذه النذر المفزعة الصريحة ، أخذ الافغاني ومحمد عبده يتعاونان على اطلاق الصيحة الاولى من خارج البلاد ، لتجاوبها في داخل البلاد اصداء تبلغ رسالتها وتزيد من قوتها ، فها هوذا عبد الله النديم (١٨٤٥ ـ ١٨٩٦) الذي أطلقت عليه صفات تدل على الدور الذي أداه في اليقظة الوطنية اذ أطلق عليه « خطيب الشرق » ـ وقد كان اول خطيب مصري يخطب قومه في شؤون السياسة ـ كما اطلق عليه « محامي الوطن » . لقد استخدم النديم في اداء رسالته كل فنون الادب من زجل وشعر الى مسرحية وقصة ، ثم الى المقالة والخطابة ، وفي نسبة هذه الفنون عنده بعضها الى بعض يقول احمد تيمور : « أما شعره فأقل من نثره ، ونثره أقل من لسانه ، ولسانه الغاية القصوى في عصرنا هذا » ، على ان ما يهمنا هنا من اثار النديم أدبه المكتوب ، ومقالاته الصحفية اللاذعة ، خصوصا ما ورد منها في مجلة « الاستاذ » ، التي صدرت في عهد الاحتلال الانكليزي ، والتي لم يلبث الانكليز أن طالبوا باغلاقها ، لشدة ما جاء فيها من هجمات النديم على خصوم الوطنية والعروبة والاسلام ، فكان مما قاله عن الدولة الغاصبة انها وضعت معظم الادارات في أيدي الاجانب ، حتى لا تمكن المصريين من اصلاح بلادهم ، فاختلت البلاد ، « فان كان مرادها افساد البلاد فقد أفلحت ، أما اذا كانت تريد صلاحها ، وتسليمها لابنائها ، فكيف يحدث ذلك ، وهي لا تستعمل أبناءها في الحكم ، وتبعدهم عن الادارات ؟ » وفي مقال له بعنوان « هذه يدي في يد من أضعها » يقول انه اذا لم يضع يده في أيدي مواطنيه المخلصين ، « فقطعها خير من وضعها في يد أجنبي يستميلك اليه بوعود كاذبة ، وحيل واهية ، يظهر لك سعيه في صالحك ، وحبه لتقدمك .. ويصور لك الاباطيل في صورة حقائق ، حتى يخدعك بها ، ويحول افكارك الشرقية الى افكار

غربية تأخذها ، وتقول بها ، فتكون يده القوية وعونه الاكبر على ضياع حقوقك ، واذلال اخوانك واحتلال بلادك » .

وكان من اللمحات النافذة عند النديم اشاراته المتكررة الى ضرورة التعليم وضرورة قيام الصناعة ، لانه ما اغتصب غاصب ارضنا الا بسبب جهالة ابنائها او بسبب انصرافهم عن الصناعة « لان الانصراف عن الصناعة هو انصراف عن العلم » ، « ان النهوض والثورة مع الجهل والفراغ من المعدات ، لا يفيدان الا الخذلان » ، ولا نجاح لثورة على استعمار الا اذا كان أساسها التعليم والصناعة : « وما نجحت ثورة تجردت جماهيرها من المعارف وبعدت عن المصانع والتفنن في الالات ، واندفعت خلف الاهواء » (مجلة الاستاذ في ٣٠ ـ ٨ ـ ١٨٩٢) .

ولا نترك الحديث عن اواخر القرن الماضي ، قبل أن نذكر اثرا شامخا من اثار المقاومة الوطنية لكل مستعمر أو دخيل ، لكنه ـ هذه المرة ـ اثر ايجابي بناء ، وضع البذور الاولى للنهضة العربية الشاملة، التي ستزداد مع السنين ، حتى تصبح في سنواتنا الراهنة حركة ثورية لتحقيق الوحدة العربية ، وانما عنيت بذلك الاثر ، نهضة الشعر على يدي محمود سامي البارودي (١٨٣٩ ـ ١٩٠٤) اذ الامر فيها لا يقتصر على الشعر وحده بل يجاوز ذلك ليكون اقامة لاهم دعائم القومية العربية السليمة ، الا وهي دعامة اللغة القومية الرصينة . فبعد ان ضعفت العربية مع الضعف السياسي والاجتماعي خلال قرون امتدت ما امتد الحكم العثماني ، أراد البارودي الشاعر أن تعود لنا القوة السياسية والاجتماعية بادئة من بدايتها الصحيحة ، الا وهي اللغة ، وأسعفته الموهبة ، فربط بين قديم شامخ وجديد متطلع الى الشموخ ، ونسج نسجا لا يتخاصم فيه الحاضر والماضي ، ولا يتعارض فيه التجديد مع التقليد ، بل هو نسج : لحمته الحاضر ، والماضي سداه ، فجاء شعر البارودي في ادبنا الحديث ـ خصوصا وقد أخفقت الثورة العرابية التي كان الشاعر احد رجالها ، واحتل المستعمر البريطاني بلادنا ـ جاء هذا الشعر القوي في ادبنا الحديث بمثابة الخطوة الاولى في طريق طويل ما نزال نواصل السير فيه على هداية مبدأ عام ، هو ان نجيء النهضة العربية على أساس يجمع بين الطابع القومي المتميز ، وظروف العصر الذي نعيش فيه .

ـ ٣ ـ

وتمضي السنون ، ويستدير القرن التاسع عشر ليبدأ العشرون ، فتزداد المقاومة شدة وظهورا فيما تجري به اقلام المفكرين والادباء ، وحسبنا ان نجد في السنوات الاخيرة من القرن الماضي وفي العشرة الاعوام الاولى من هذا القرن قاسم امين ، ومصطفى كامل ، ومحمد فريد، ولطفي السيد ، وعبد العزيز جاويش ، ومن الشعراء شوقي وحافظ ، كانت حالة الضعف السياسي قد انتهت بالبلاد الى قبضة المستعمر ، وخدعت طائفة من مفكري الغرب عن حقيقة الامر ، فنقلوا بأوهامهم ذلك الضعف من السياسة الى العروبة من حيث هي جنس ، والى الاسلام من حيث هو دين ، فكان لا بد للفكر والادب عندنا ان يتصديا لذلك ، لان التهمة اذا صدقت انفسح الامل امام المستعمر الفرنسي في تونس والجزائر ولبنان وسوريا ، وامام المستعمر الانكليزي في مصر والعراق، واما اذا ردت التهمة وظهر بطلانها ، فقد انفسح الامل امام الامةالعربية أن تزيل عنها الكابوس الطارىء ، لتسترد مجدها ، وتمضي قدما في طريقها ، ومن هذا القبيل ما حدث بين دعوى هانوتو فيما يتصل بخصائص الجنس الآري والجنس السامي ، ورد الشيخ محمد عبده عليه لتفنيد دعواه ، وكذلك ما حدث بين دعوى رينان عن موقفالاسلام من العلم ، وزعمه بأن الاسلام مضاد للعلم ، ورد الافغاني عليه لتفنيد دعواه ، وها هي ذي دعوى ثالثة لمتهجم اخر ، يتصدى للرد عليها قاسم امين .

ذلك ان داركور قد أصدر كتابا سنة ١٨٩٢ عن المصريين ، يصفهم فيه بالتأخر ، ويأخذ عليهم حجبهم للنساء عن موارد العلم وميادين الحياة ، ثم لا يكتفي بذلك ، بل يربط هذا كله بالعقيدة الاسلامية ، فرد عليه قاسم امين سنة ١٨٩٤ في كتاب عنوانه « المصريون » مدافعا عن وطنه وأهله ، معترفا بما قد شاب ذلكالوطن واهله من عيوب محال ان ترد الى الاسلام ، وانما هي اثر مباشر للحكم الفاسد الذي نكبت به البلاد أمدا طويلا من الدهر ، وقد كتب قاسم امين كتابه هذا بالفرنسية ، ليتاح لمن قرأ داركور ، من الفرنسيين، أن يطالعوا الرد عليه ، اقرأ هذه العبارة ـ مثلا ـ من رده على الدوق داركور ، لترى كيف رد التهمة عن اهله ردا يوقع خصمه فيما هو اشنع منها : « يظهر أن مسيو داركور ينعي علينا عدم وجود الفوارق الاجتماعية عندنا ، ويعيبنا لانه ليس من طوائفنا طائفة الاشراف بالمولد أو بغير المولد ، وكل السكان الذين يقيمون في بلد اسلامي هم مساوون امام القانون بلا تفرقة بين اجناسهم وديانتهم » .

على ان هذه المعركة القلمية بين الدعوى ونقيضها ، قد حركت الكاتب العربي الى النهوض بعبء الاصلاح في ميدانه ، حتى لا نغمض العين على نقص واضح ، فكتب كتابه العظيم « تحرير المرأة » (١٨٩٩) وأعقبه باخر « المرأة الجديدة » (١٩٠٠) ليرد به على ما قد وجه الى كتابه الاول من نقد .

وان ذكرنا لكتاب تحرير المرأة ، ليستدعي ذكر جريدة « المؤيد » التي أنشأها الشيخ علي يوسف (١٨٦٣ ـ ١٩١٣) ، والتي ظهر فيها الكتاب فصولا امتدت على شهرين وهي نفسها الجريدة التي نشر فيها عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩ ـ ١٩٠٢) كتابه « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » الذي هو من ابرز الكتب التي عرفها الادبالعربي في العصر الحديث عن الحرية ، يقول فيه الكاتب عن الحاكم المستبد انه « يتحكم في شؤون الناس بارادته لا بارادتهم ويحاكمهم بهواه لا بشريعتهم » . « والمستبد عدو الحق ، عدو الحرية وقاتلهما ، والحق ابو البشر ، والحرية امهم ، والعوام صبية ايتام نيام لا يعلمون شيئا » . « ان الاستبداد يضغط على العقل فيفسده ، ويلعب بالدين فيفسده ، ويحارب العلم فيفسده » . « الحكومة المستبدة تكون طبعا مستبدة في كل فروعها من المستبد الاعظم الى الشرطي ، الى الفراش، الى كناس الشوارع » . « أقل ما يؤثر الاستبداد في اخلاق الناس انه يرغم الاخيار منهم على الفة الرياء والنفاق ـ ولبئس السيئتان ـ ويعين الاشرار على اجراء غي نفوسهم آمنين ، حتى عن الانتقاد والفضيحة ، لان اكثر اعمالهم تبقى مستورة ، يلقي عليها الاستبداد رداء خوف الناس من تبعة الشهادة » .

لم تكن هذه الدعوة الاجتماعية التي وجهها قاسم امين لتحرير المرأة العربية بعيدة الصلة بالدعوات السياسية التي احدثت منذ اوائل هذا القرن تشغل أصحاب الاقلام ، فصاحب « تحرير المرأة » هو نفسه الذي كتب عن جنازة مصطفى كامل يقول : « ١١ فبراير سنة ١٩٠٨ يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل ، هي المرة الثانية التي رأيت فيها قلب مصر يخفق ، المرة الاولى كانت يوم تنفيذ حكم دنشواي : رأيت كل شخص تقابلت معه قلبا مجروحا ، وزورا مخنوقا ، ودهشة عصبية بادية في الايدي وفي الاصوات ، كان الحزن على جميع الوجوه » .

وان هذا لينقلنا الى ادب سياسي جياش بالعاطفة ، أنشأه قادة الحزب الوطني في جريدتهم اللواء : مصطفى كامل ، محمد فريد ، عبد العزيز جاويش .

اما مصطفى كامل (١٨٧٤ ـ ١٩١٨) فهو ـ كما قال عنه لطفي السيد ، برغم ما كان بين الرجلين من اختلاف بعيد في وجهة النظر ـ « كان شعاره الوطنية ، ووسيلته الوطنية ، وكتابته الوطنية ، وحياته الوطنية ، حتى لبسها ولبسته ، فصار بينهما التلازم الذهني والعرفي، فاذا ذكرت مصطفى كامل بخير ، فاتما تطري الوطنية ، واذا قلتالوطنية فان أول ما يتمثل في خيالك شخص مصطفى كامل .. كأنما هو والوطنية شيء واحد » . يكفينا منه هنا مثل واحد ، نقتبسه من خطبته الكبرى في الاسكندرية (١٩١٧) :

« تقولون يا أعداء مصر اننا لو أفلحنا لما نلنا هذا الاستقلال الا

بعد حين طويل ، فنجيبكم انا لو سلمنا بقولكم جاز لنا ان نتأخر لحظة واحدة عن العمل ، لاننا لا نعمل لانفسنا ، بل نعمل لوطننا ، وهو باق ونحن زائلون ، وما قيمة السنين ، والايام في حياة مصر ، وهي التي شهدت مولد الامم كلها ، وابتكرت المدنية والحضارة للنوع الانساني كله ؟ ان العامل الواثق من النجاح يرى النجاح امامه كأنه أمر واقع ، ونحن نرى من الان هذا الاستقلال المصري ونبتهج به وندعو له كأنه حقيقة ثابتة ، وسيكون كذلك لا محالة ...

اننا وجهنا قلوبنا ونفوسنا وقوانا وأعمارنا الى اشرف غاية اتجهت اليها الامم في ماضي البلاد وحاضرها ، وأعلى مطلب نرمي اليه في مستقبلنا ، فلا الدسائس تخيفنا ، ولا التهديدات تقفنا في طريقنا ، ولا الشتائم تؤثر فينا ، ولا الخيانات تزعجنا ، ولا الموت نفسه يحول بيننا وبين هذه الغاية التي تصغر بجانبها كل غاية ...

بلادي .. بلادي .. لك حبي وفؤادي ، لك حياتي ووجودي ، لك دمي ونفسي ، لك عقلي ولساني ، لك لبي وجناني ، فانت أنت الحياة ، ولا حياة الا بك يا مصر ...

هل خلق الله وطنا أعلى مقاما ، وأسمى شأنا ، واجمل طبيعة ، وأجل اثارا ، وأغنى تربة ، وأصفى سماء ، وأعذب ماء ، وأدعى للحب والشغف من هذا الوطن العزيز ؟ اني لو لم اولد مصريا لوددت أن أكون مصريا » .

ذلك قبس من تلك الخطبة السياسية الوطنية الرائعة ، وهي التي نظم بعدها علي الغاياتي (صاحب ديوان « وطنيتي » الصادر سنة ١٩١٠) قصيدة وجهها الى مصطفى كامل يقول فيها :

أصدع بقولك ان اردت مقالا ... فالقوم جندك ان دعوت رجالا
لم تدر مصر سوى حماك تؤمه ... فتسرى به الامها امالا

وفي ١٩٠٨ تولى عبد العزيز جاويش (١٨٧٦ ـ ١٩٢٩) رئاسة تحرير اللواء ، وكان للواء طابعه الواضح في مهاجمة الاستعمار البريطاني ، وفي ايقاظ الروح الوطنية ، فكانت لجاويش في مهاجمة الانكليز مقالات حامية ، وكلمات من نار ، حتى قبل ان يتولى تحرير اللواء : « ان البلاد المصرية أخذت منذ بدء الاحتلال المشؤوم تتدلى في مهاوي الضعف والاضمحلال وانه لا منفذ لها سوى ان يرفع الاحتلال يده الثقيلة المفسدة عنها » . ولكي تعلم ماذا اراد الكاتب ان يصنع بقلمه في مقاتلة العدو ، فاسمع ما يخاطبه به : « ايها القلم .. لو كنت سيفا لاغمدتك في صدور من يحاربونك ، او سهما لانفذتك في اعماق قلوبهم ، ولو كنت جوادا لوجدت لك في ميادين النزال مجالا للكر والفر » .

وكان يقابل هذه الجذوة المشتعلة من الوطنية في جريدة «اللواء» فكر منطقي هادىء في جريدة « الجريدة » التي كان يحررها احمد لطفي السيد (١٨٧٢ ـ ١٩٦٣) اذ كان لطفي السيد ـ كما يقول عنه العقاد ـ « ينظر الى المسائل الفكرية والاجتماعية نظرة محيطة شاملة ، توشك ان تتعادل فيها جميع الجوانب والاطراف ، ولكنه كان من أشد المفكرين اهتماما بما يعتقد فيه الخير والصلاح » .

ـ ٤ ـ

وحسب العشرة الاعوام الاولى من هذا القرن ان تكون قد شهدت فاجعة دنشواي (يوم الاربعاء ١٣ من يونيو سنة ١٩٠٦) ، فليس كمثل الكوارث الكبرى شيء يوحد قلوب الامة في قلب واحد نابض ، ودنشواي قرية في محافظة المنوفية ، قدم اليها خمسة من الضباط الانكليز لصيد الحمام ، فأصيب برصاصهم بعض الاهلين ، فهاجم الناس اولئك المعتدين ، فأصيب بعضهم ومات أحدهم ، فثار العميد البريطاني في مصر ، لورد كرومر ، وعقدت محكمة خاصة لمحاكمة المصريين ، فقضت باعدام اربعة من الاهالي ، وبالجلد والحبس على ثمانية ، ونفذ الجلد والاعدام في دنشواي علنا ، فكان لذلك رد فعل عنيف في طول البلاد وعرضها ، وانطلق الشعراء والكتاب ينظمون وينشئون بكاء ورثاء ووطنية واخاء .

قال اسماعيل صبري :

وأقلت عثرة قرية حكم الهوى ... في أهلها وقضى قضاء أخرق
ان أن فيها بائس مما به ، ... او رن ، جاوبه هناك مطوق
وارحمتاه لجناتهم ماذا جنوا ؟ ... وقضاتهم ما عاقهم ان يتقوا ؟

وقال احمد شوقي :

يا دنشواي على رباك سلام ... ذهبت بأنس ربوعك الايام
شهداء حكمك في البلاد تفرقوا ... هيهات للشمل الشتيت نظام
مرت عليهم في اللحود أهلة ... ومضى عليهم في القيود العام
كيف الارامل فيك بعد رجالها ؟ ... وبأي حال أصبح الايتام
عشرون بيتا أقفرت وانتابها ... بعد البشاشة وحشة وظلام
يا ليت شعري في البروج حمائم ... أم في البروج منية وحمام ؟
نيرون .. لو ادركت عهد كرومر ... لعرفت كيف تنفذ الاحكام

وقال حافظ ابراهيم :

جاء جهالنا بأمر ، وجئتم ... ضعف ضعفيه قسوة واشتدادا
أحسنوا القتل ان ضننتم بعفو ... أقصاص أردتم أم كيادا ؟
أحسنوا القتل ان ضننتم بعفو ... أنفوسا أصبتم أم جمادا ؟
ليت شعري أتلك محكمة التفتيش عادت أم عهد نيرون عادا ؟
كيف يحلو من القوي التشفي ... من ضعيف ألقى اليه القيادا ؟

ـ ٥ ـ

تلك كانت المرحلة الاولى ، وهكذا جاءت خلالها صورة المقاومة في الادب ، ثم جاءت المرحلة الثانية التي امتدت فيما بين الحربين ، وقد اتخذت المقاومة صورة اخرى ، وهي الاشادة بالحرية والدعوة اليها ، حتى ولو لم يذكر المستعمر في سياق الدعوة ذكرا صريحا .

وقد ظهرت بدايات هذه المرحلة الثانية ، حتى قبل ان تنتهي الحرب العالمية الاولى ، كأنما كانت بدايات تمهد النفوس تمهيدا مباشرا لثورة ١٩١٩ ، وهي بدايات ظهرت اوضح ما تكون في الشعر ، ففي العشرة الاعوام الثانية من هذا القرن ، ظهرت دواوين ثلاثة ، عزفت كلها على وتر واحد ، اذ عزفت نشيد الفرد الانساني وما يجب له من حرية وما يجب عليه من مسؤولية ازاء نفسه ، وتلك الدواوين الثلاثة كانت هي الجزء الثاني من ديوان عبد الرحمن شكري (١٩١٣) والجزء الاول من ديوان المازني (١٩١٤) وقد قدم العقاد لهما ، والجزء الاول من ديوان العقاد (١٩١٦) وقد قدم له المازني ، فجاءت هذه الدواوين الثلاثة بمثابة اعلان لحقوق الانسان الجديد ، وانهم ـ هؤلاء الثلاثة الشعراء ـ ليؤمنون ان نهوض الادب شرط لازم للنهضة القومية وللحرية الوطنية ، وانه لا حرية ولا استقلال لانسان هانت عليه نفسه حتى ليعجز عن الشعور بها ، يقول العقاد في مقدمته للجزء الاول من ديوانه : « ومن كان يماري في هذا القول فليراجع التاريخ ، وليذكر أمة واحدة نهضت نهضة اجتماعية فلم تكن نهضتها هذه مسبوقة أو مقرونة بنهضة عالية في ادابها » . كما ظهرت بدايات شبيهة بذلك في ميدان الرواية متمثلة في رواية زينب للدكتور هيكل (١٩١٤) التي هي من اولى بشائر الشعور بالمصرية الصميمة وحياة الطبقة العاملة في الريف . وهو الشعور نفسه الذي جاءت رواية « عودة الروح » لتوفيق الحكيم لتؤكده (١٩٢٩) .

ويثور الشعب ثورته عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى ، مطالبا بحقه في الحرية من المستعمر البريطاني ، وتجري آنهر الصحف اليومية بأنهر من الادب السياسي المشتعل بحرارة الثائرين ، ثم سرعان ما يصاحب هذا الادب السياسي مقالات وكتب في ضروب الحرية وفي مراميها وأبعادها ، فيكتب العقاد في فلسفة الحرية وفي علاقتها بألوان الفنون جميعا ، ويقول ان حب الامم للحرية انما يقاس بحبها للفنون الجميلة « لان الصناعات والعلوم النفعية مطلب من مطالب العيش تساق اليه الامم مرغمة مجبرة ، وضرورة من ضرورات الذود عن الحياة تدفع اليها مغلوبة مسخرة .. وانما تعرف الامم الحرية حين تأخذ في

التفضيل بين شيء جميل وشيء أجمل منه ، وتتوق الى التمييز بين مطلب محبوب ومطلب أحب وأوقع في القلب وادنى الى ارضاء الذوق واعجاب الحس ، ولا يكون ذلك منها الا حين تحب الجمال ، منظورا أو مسموعا » (مطالعات في الكتب والحياة ، ص ٥٤) .

ويخرج سلامة موسى (١٨٨٨ ـ ١٩٥٨) سنة ١٩٢٧ كتابا عن « حرية الفكر وابطالها في التاريخ » يقول عنه في صفحة الغلاف انه « قصة الحرية الفكرية وانطلاق العقل البشري من قيود التقاليد وفوز التسامح على التعصب ، مع ذكرها ما لقيه الاحرار من ضروب الاضطهاد من أقدم العصور للان » . ثم يتلو على قارئه صفحات من استشهاد الابطال في سبيل الحرية على اختلاف انواعها : سياسية ودينية وعلمية وغير ذلك ، وهو يسوق أمثلة من اليونان القديمة ومن المسيحية ومن الاسلام ومن العصور الحديثة في الغرب وفي الشرق على السواء .

وكان محمد حسين هيكل (١٨٨٨ ـ ١٩٥٦) من الداعين الى الحرية في كثير من معانيها ، فالف كتابا عن جان جاك روسو ليستمد من دعوة هذا الفيلسوف الى الحرية دعوة يوجهها الى العرب في ثورتهم في سبيل الحرية ، ويخرج صحيفة السياسة الاسبوعية (١٩٢٦) لتكون ملحقا ادبيا اسبوعيا لصحيفة السياسة التي كان يشرف على تحريرها ، وليتخذ منها أقوى أداة لنشر الثقافة الجديدة التي اراد هو ومعاصروه ان يبذروا بذورها ارهاصا لعصر جديد ، وكانت تلك البذور ـ في رأي هيكل اول الامر ـ بذورا غربية صرفا ، ثم سرعان ما افاق الى خطئه ، وصمم على ان يكون للنهضة العربية اصولها الخاصة التي تستعير من الغرب ما تستعيره لكنها لا بد الى جانب ذلك ان تستمد من ماضيها التربة الخصبة التي تستنبتها ، يقول هيكل في ذلك : « حاولت ان انقل لابناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية ، وحياته الروحية لتتخذها جميعا هدى ونبراسا ، ولكني أدركت بعد لاي انني اضع البذر في غير منبته ، فاذا الارض بهضمه ثم لا تتمخض عنه ، ولا تبعث الحياة فيه ، وانقلبت التمس في تاريخنا البعيد في عهد الفراعنة موئلا لوحي هذا العصر ينشأ فيه نشأة جديدة ، فاذا الزمن واذا الركود العقلي قد قطعا ما بيننا وبين ذلك العهد من سبب يصلح بذارا لنهضة جديدة ، ثم رأيت أن تاريخنا الاسلامي هو وحده البذر الذي ينبت ويثمر ، ففيه حياة النفوس ، يجعلها تهتز وتربو ، ولابناء هذا الجيل في الشرق نفوس قوية تنمو فيها الفكرة الصالحة لتؤتي ثمرها بعد حين » (من مقدمة « منزل الوحي ») .

الحق اننا لا نجد صفة نصف بها الحياة الفكرية في عشرينات هذا القرن ، أصدق من انها كانت حياة تمهد الارض لبناء جديد يقام عليها حين تحين الفرصة المناسبة ، ولذلك شغل الكتاب جميعا في تلك الحقبة بالتنوير عامة ، وبالتنوير فيما يمس الحرية العقلية والفنية والسياسية بصفة خاصة ، وفي هذا النشاط التمهيدي لذلك العصر يقول ابراهيم عبد القادر المازني : « قضى الحظ ان يكون عصرنا عصر تمهيد ، وان يشتغل ابناؤه بقطع هذه الحبال التي تسد الطريق ، وبتسوية الارض لمن يأتون بعدهم ، ومن الذي يذكر العمال الذين سووا الارض ، ومهدوها ورصفوها ، من الذي يعنى بالبحث عن اسماء هؤلاء المجاهدين الذين أدموا ايديهم في هذه الجلاميد ، وبعد ان تمهد الارض وينتظم الطريق يأتي نفر من بعدنا ويسيرون فيه الى اخره ، ويقيمون على جانبيه القصور شاهقة باذخة ، ويذكرون بقصورهم وننسى نحن الذين أتاحوا لهم ان يرفعوها شاهقة رائعة ، والذين شغلوا بالتمهيد عن التشييد ، فلندع الخلود اذن ولنسأل كم شبرا مهدنا من الطريق » (من مقدمة « حصاد الهشيم ») .

لقد كان لسان الحال في مجال الفكر والادب ابان فترة التنوير والتمهيد التي اشرنا اليها ـ منذ ما قبل نهاية الحرب العالمية الاولى بقليل والى نهاية الحرب العالمية الثانية ناطقا بانه اذا كان الغرب قد استبد بارضنا فطريق الخلاص له شعاب كثيرة ، منها ان نتزود بعلمه وثقافته لنغل الحديد بالحديد ، ولذلك كان ابرز طابع يميز تلك الفترة هو نقل الفكر الغربي من اليونان القديمة ومن بريطانيا وفرنسا الحديثتين ، وكانت أداة النقل الاساسية ـ هي المجلات اكثر مما كانت هي الكتب : المجلات التي تصدر كل اسبوع مثقلة بحصيلتها المنقولة ترجمة وتلخيصا وتعليقا ونقدا ، فاذا كانت الصحف اليومية في المرحلة الاولى ـ كالمؤيد واللواء والجريدة ـ قد حملت هذا العبء نفسه ، ففي المرحلة الثانية تخصصت لها مجلات اسبوعية وشعرية ، اول ما نذكره منها مجلة السفور التي صدر عددها الاول سنة ١٩١٥ ، وفيه اعلن صاحبها عبد الحميد حمدي منهاجها ، شارحا المراد بعنوانها ، فقال في ذلك :

« ليست المرأة وحدها هي المحجبة في مصر ، ولكنها محجبة نزعاتنا وفضائلنا وكفاءاتنا ومعارفنا وامانينا ، وكل شيء يبدو على غير حقيقته ، فنحن امة محجبة حقيقتها ، بادية منها ظواهر كاذبة ، وقد تبين للباحث ان هذه العلل ليست طبيعية في نفس الامة ، وانما هي عوارض تزول بزوال اسبابها ... »

واشتركت في تحرير « السفور » مجموعة من الكتاب ، هي نفسها المجموعة التي سيشتد بأسها في عشرينات القرن وثلاثيناته ، والتي ستكون هي الداعية الى الاخذ باسباب الفكر الغربي والثقافة الغربية ليكون ذلك هو نفسه افعل سلاح في استرداد حرياتنا المغتصبة من الغرب المغتصب ، ففيها كتب هيكل ، وطه حسين ، وعلي عبد الرازق ، وغيرهم وكأنما جاءت مجلة السفور حلقة وسطى في سلسلة ثقافية واحدة ، اولها « الجريدة » برئاسة لطفي السيد ، واخرها « السياسة الاسبوعية » برئاسة هيكل ، وهي مدرسة فكرية يغلب عليها الطابع الفرنسي .

ولذلك قام خط يوازي ذلك الخط ويوازنه وتمثل في مجلة البلاغ الاسبوعي واجتمع حوله من الكتاب من كان يؤثر النهل من معين الثقافة الانجليزية ، واشهرهم العقاد والمازني كما تمثل في مجلة العصور لاسماعيل مظهر والمجلة الجديدة لسلامة موسى ، ثم نشأت في الثلاثينات مجلتان اخريان هما « الرسالة » اولا ، و « الثقافة » ثانيا لتحدثا شيئا من الجمع بين الثقافتين الغربية والعربية ، تمهيدا لقيام شخصيتنا الثقافية الجديدة ، التي سنتحدث عنها بعد قليل ، وفيهما ظهر احمد حسن الزيات واحمد امين ، الاول باسلوبه العربي الرصين ، الذي يعد في ذاته علامة اعتزاز بالقومية العربية في اصولها وفروعها ، والثاني باسلوبه العلمي الواضح الذي يعد علامة من علامات التبشير بعصر جديد ، يرتكز على القديم ويفتح صدره للحديث .

ـ ٦ ـ

وانه لما يميز هذه المرحلة الثانية كذلك ، تلك النزعة الرومانسية التي غمرت الشعر ، بل وشطرا كبيرا من الكتابة النثرية ، وتجلت بصفة خاصة في جماعة ابولو التي نشأت سنة ١٩٣٢ (واخرجت مجلة باسمها سنة ١٩٣٥) وكان من اهم شعرائها احمد زكي ابو شادي ، وابراهيم ناجي ، وعلي محمود طه ، فاذا تذكرنا أن كل حركة ثورية كبرى تصاحبها حركة رومانسية في الادب بصورة او باخرى ، تفك القيود بكل انواعها : قيود الصياغة الشعرية ، وقيود العاطفة الباطنية ، عرفنا كم كانت الحركة الرومانسية في الادب العربي ابان عشرينات القرن وثلاثيناته دالة على تيار المقاومة العنيف ، ومدى سريانه في نفوس الناس على طول البلاد العربية وعرضها كأنما هي صيحة واحدة متعددة الاوتار والانغام ، صدح بها شعراء العروبة جميعا .

فهذا احمد زكي ابو شادي (١٨٩٢ ـ ١٩٥٥) في قصيدته « الضحايا » يعلن ان نداء الوطن يستوجب الا نفرط في مواطنيه ، والا نجامل الذين نهبوا المواطنين نهبا ، عن جشع لا يشبع وظلم لا يرتدع :

وكل يوم ضحايا لا عداد لها من غدرهم في جحيم البؤس والهون
أبعد هذا نصوغ الشعر زخرفة ؟

وبلغت الانفعالية الرومانسية اوجها في الشاعر التونسي ابو القاسم الشابي (١٩٠٦ ـ ١٩٣٤) خذ قصيدته « نشيد الجبار » مثلا

لهذه اللوعة التي تأكل صاحبها كمدا على ما قد حل به ، وتطمح به الى السماء في دنيا الامل والرجاء :

سأعيش رغم الداء والاعداء كالنسر فوق القمة الشماء
ارنو الى الشمس المضيئة هازئا بالسحب ، والامطار والانواء
... ...
النور في قلمي وبين جوانحي فعلام اخشى السير في الظلماء ؟

وان القول ليطول بنا لو استطردنا نذكر امثال هذه الجذوات المشتعلة بوطنيتها خلال المرحلة الوسطى ـ فترة ما بين الحربين ـ التي هي الان موضع الحديث .

وانه لمن ابرز الملامح في الحركات الرومانسية كلها ـ وهي دائما حركات للتحرر تعقب الثورات السياسية او تصاحبها ـ العودة بالذكرى الى مجد الاباء ، وهكذا كان الامر في الادب العربي ، لانه اذا كانت الدعوة الى الحرية تتحقق بشرح المبدأ من جهة ، وبضرب المثال من جهة اخرى ، فأين يوجد المثال في اسمى صورة اذا لم يكن في ابطال العروبة والاسلام وهما في ذروة المجد ؟ من هنا رأينا ادباءنا جميعا يتجهون هذه الوجهة ، فبدأوا بالحديث عن اعلام الشعراء الاقدمين ـ وكان ذلك في العشرينات ـ ثم انتقلوا الى ميدان اوسع ، فترجموا سيرة الرسول والخلفاء الراشدين وعدد كبير من قادة المسلمين واعلامهم، فكان ذلك ابلغ ما يقال في وجه عدو البلاد ، الذي جعل من اسلحة هجومه ان يستخف بالحضارة العربية وبالثقافة العربية جميعا ، وان يدعي لنفسه الاصالة في مبادىء الحرية والديمقراطية والاخوة الانسانية بين افراد البشر .

ـ ٧ ـ

وتنتهي الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، فتدخل حركة المقاومة ـ كما انعكست في الادب ـ مرحلة ثالثة ، فلئن كان قوام المرحلة الاولى كتابة هي اقرب الى الخطابة السياسية ، قصد بها استثارة الشعور الوطني ، ثم كان قوام المرحلة الثانية رومانسية تنادي بالتحرر وفك القيود ، وتضرب امثالها من ابطال التاريخ ، فقد جاءت المرحلة الثالثة لتقيم البناء الثقافي الجديد على نحو يبرز الخصائص القومية الى جانب العناصر الحديثة ، وها هنا تغيرت الاداة الادبية الاساسية ، فبعد ان كانت الاداة هي المقالة ، اصبحت القصة والمسرحية ، وذلك لانهما الوسيلتان المؤاتيتان لتصوير المواقف والاشخاص ، على اي نحو لا نريدها ، وعلى اية صورة نريدها ، وان في اختيار الاداة الادبية الجديدة لدليلا واضحا على توحيد العنصرين في حياة واحدة : ما نأخذه من الغرب وما نضيفه من انفسنا ، فلئن كنا قد اخذنا قالب القصة وقالب المسرحية من حيث هما طريقتان للتعبير ، فقد عرفنا كيف نملأ القالبين بمضمون محلي اصيل غلب عليه ـ فيما بين ١٩٤٥ و ١٩٥٢ (سنة الثورة الاجتماعية الكبرى) ـ تصوير البؤس الذي احاط بالناس ، ثم شيء من الكفر بالحضارة الغربية في ماديتها ، لان هذه المادية فيها كانت هي الدافع الاول نحو حركات الاستعمار الاوروبي لشعوب الشرق ، ولما كانت الحضارة الغربية المادية الحديثة قرينة العقل وما ينتجه من علوم وتقنيات وآلات ، فقد انقلب هذا الكفر بالحضارة المادية كفرا بالعقل وما يؤدي اليه ، ودعوة الى عودة الشرق الى روحانيته التي ميزته ابان ازدهاره .

اما تصوير البؤس فقد كان في طليعة من اضطلع به الدكتور طه حسين في قصصه التي كتبها في تلك الفترة : « شجرة البؤس » (١٩٤٤) و « جنة الشوك » (سنة ١٩٤٥) و « المعذبون في الارض » (سنة ١٩٤٩) ، وكان قبل ذلك قد نشر قصته الاولى « دعاء الكروان» التي تسير في الاتجاه نفسه ، فهذه القصص كلها تستفز الاريحية لما يصيب الانسان الحر في كرامته على ايدي طغاة ملأوا دروب الحياة ومنعطفاتها ، على ان هذا الانتاج الادبي الخاص ، لم يحل دون ان يمضي عميد الادب العربي في دراساته التي قصد بمعظمها اقامة النماذج المثلى لتكون المقارنة صارخة بين ما هو كائن وما يمكن ان يكون ، فقد كتب « الوعد الحق » (١٩٥٠) و « عثمان » (١٩٤٧) و « علي وبنوه » (١٩٥٣) و « الشيخان » (ابو بكر وعمر الخطاب) ١٩٦٠ ، فضلا عن دعوته القوية نحو تكافؤ الفرص بين المواطنين في التعليم .

واما الثورة على العقل ـ ما دام العقل هو ينبوع الحضارة المادية بكل تفريعاتها السياسية ـ فقد اضطلع بها توفيق الحكيم في مسرحياته التي صدرت ابان الفترة التي نشير اليها فاصدر « سليمان الحكيم » (١٩٤٣) و « الملك اوديب » (١٩٤٩) وكلتاهما تبين أن العقل وحده لا يغني الانسان عن الحق شيئا (وكان من اهم ما اصدره بعد ذلك تعميقا لروح الثورة الاشتراكية « الصفقة » (١٩٥٧) و « الايدي الناعمة » (١٩٥٨) و « الطعام لكل فم » (١٩٦٣) .

وكان من ابرز معالم هذه الفترة ـ واعني الفترة التي توسطت بين الحرب العالمية الثانية وقيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ـ ما اصدره العقاد من كتب سياسية يقاوم بها استبداد الحكم ، واخرى يصور بها النماذج الاسلامية الرفيعة ، فمن المجموعة الاولى « هتلر في الميزان » (١٩٤٠) و « فلاسفة الحكم في العصر الحديث » (١٩٥٠) ، ومن المجموعة الثانية ، وهي من اهم ما كتب الكاتب في حياته الادبية ، عبقريات محمد (١٩٤٢) والصديق (١٩٤٣) وعمر (١٩٤٢) والامام علي (١٩٤٣) ... الى اخر هذه السلسلة الطويلة التي شملت نحو خمسة عشر كتابا ، اما طوال الخمسينات ، فقد اخذ يخرج الكتاب اثر الكتاب ، دفاعا عن الاسلام ، حتى يبطل ما يدعيه المستعمر في هذا الميدان ، مما يتخذه ذريعة يبرر بها اعتداءه ، ومن اهم هذه المجموعة كتب « الاسلام والاستعمار » سنة (١٩٥٧) و « الديمقراطية في الاسلام » (١٩٥٢) و « حقائق الاسلام واباطيل خصومه » (١٩٥٧) و « التفكير فريضة اسلامية » (١٩٥٧) وغيرها .

وفي تلك الفترة نفسها ظهر عدد كبير من الادباء الشبان اشتد وعيهم بما كان في الحياة السياسية حينذاك من فساد وبما كان بينها وبين الاستعمار من صلات وروابط وهم انفسهم الشبان الذين ظهرت في كتاباتهم بذور المعاني الاشتراكية التي جاءت ثورة ١٩٥٢ لتخرجها الى عالم الوجود . وقد امتد الوجود الادبي ببعض هؤلاء الشباب الى يومنا هذا فاصبحوا من كتاب الاشتراكية وشعرائها المرموقين .

ومن الكتاب الذين انعكست المقاومة في ادبهم نجيب محفوظ ، الذي امتد انتاجه في القصة من الثلاثينات الى يومنا الراهن ، ولعل قمة اعماله ـ من الزاوية التي ننظر منها الان الى الادب ، وهي انعكاس الجهود التحررية على الادب ـ اقول لعل قمة اعماله في هذا الميدان هي ثلاثيته الكبرى : « بين القصرين » و « قصر الشوق » و « السكرية » ففي هذه الثلاثية صورة كاملة الدقائق والتفصيلات لحياة المجتمع المصري كله خلال الفترة التي تقع بين الحربين ، نرى فيها كيف تطور مفهوم الوطنية عند الاجيال المتعاقبة ، فالوطنية عند الجد الكبير كانت دفعا للتبرعات ودعاء من الله بنصرة الزعماء ، والوطنية عند ابنه الكبير هي توزيع للمنشورات السياسية ومشاركة في المظاهرات حتى لقد لقى حتفه في احداها ، والوطنية عند ابنه الاصغر (كمال عبد الجواد) هي العمل من اجل الشعب بل من اجل الانسانية المكافحة داخل الوطن وخارجه على السواء ، ثم ننتقل الى الحفدة فنرى مفهوم الوطنية قد ارتبط بالميدان الاقتصادي ، فاعداء الوطن هم من يستغلونه في هذا الميدان ، لا فرق بين اجنبي ومواطن اذا كان كلاهما من المستغلين ، ومن هؤلاء الاشخاص جميعا ، يهتم الكاتب ـ بصفة خاصة ـ بكمال عبد الجواد ، الذي قال عنه « انه يعكس ازمتي الفكرية ، وهي ازمة جيل باسره » .

ـ ٨ ـ

وتحدث احداث كبرى تشد حولها الكتاب والشعراء جميعا ، من اهمها قيام اسرائيل (١٩٤٨) والعدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦) . وثورة الجزائر ، وغيرها من الثورات التي شملت الوطن العربي كله من اوله الى اخره ، فتفجرت عيون الادب نثرا وشعرا ، لتنصب على هذه

المآسي الانسانية الكبرى ، كتبت القصص التي تصور روح الشعب الثائرة ازاء المستعمرين والمستبدين والاقطاعيين، نذكر منها قصة يوسف السباعي « رد قلبي » وقصة احسان عبد القدوس « في بيتنا رجل » وقصة لطيفة الزيات « الباب المفتوح » وكتبت المسرحيات التي تصور القوة الغاشمة حين تنتهك حرمات العدل والحق ، نذكر منها مسرحية عبد الرحمن الشرقاوي « مأساة جميلة » ومسرحية الفرد فرج « سليمان الحلبي » ومسرحية « اللحظة الحرجة » ليوسف ادريس ونظمت دواوين بأسرها تعبيرا عن الشعور الوطني الفياض ، نذكر منها ديوان « قاب قوسين » للشاعر محمود حسن اسماعيل ، واعيدت ذكريات المآسي الماضية في شعر جديد ، كحادثة دنشواي في قصيدة صلاح عبد الصبور « شنق زهران » وقصيدة اوراس عن ثورة الجزائر لاحمد عبد المعطي حجازي . الحق أن ما كتب ونظم في مأساة فلسطين وفي بطولة بور سعيد وفي معركة الجزائر ومعركة الكونغو وفي شتى حروب المقاومة التي يبديها الوطن العربي بخاصة وأفريقيا بوجه عام لا تكاد تقع تحت الحصر ، فالموضوع حاضر على اسنان الاقلام أيا كانت الصورة الادبية التي تجري بها .

ومن الموضوعات التي تشغل الاقلام كذلك ابان هذه المرحلة الثالثة موضوع الوحدة العربية والقومية العربية ، وهو جانب ايجابي يستهدف اقامة بناء تجديد على أسس سليمة . ولا يقف عند مجرد الثورة الشعورية في مهاجمة الغاصب والمستعمر ، فالدول العربية القائمة الان ـ كما يقول الباحث العربي الكبير ساطع الحصري « لم تتكون ولم تتعدد بمشيئة اهلها ولا بمقتضيات طبيعتها ، وانما تكونت وتعددت من جراء الاتفاقات والمعاهدات المعقودة بين الدول التي تقاسمت البلاد العربية ، وسيطرت عليها » ويوجه ساطع الحصري اللوم الى اولئك الذين ثاروا ليتخلصوا من المستعمرين ، حتى اذا ما ظفروا بشيء مما ارادوا ، اصروا على ان تبقى لبلادهم الحدود التي حددها بها المستعمرون لصالح المستعمرين : « ما اغربنا نحن العرب ، لقد ثرنا على الانجليز والفرنسيين ، ثرنا على من استولى على بلادنا واستعبدنا ، وانرنا الثورات الحمراء والبيضاء عدة عقود من السنين وقاسينا في سبيل ذلك الوانا من العذاب والتضحيات ، ولكننا عندما تحررنا من نير كل هؤلاء اخذنا نقدس الحدود التي كانوا قد اقاموها في بلادنا بعد ان قطعوا اوصالها ، ونسينا ان تلك الحدود انما كانت هي الحبس الانفرادي والاقامة الجبرية التي فرضوها علينا ، لاضعافنا وعزل قوى بعضنا عن ان تتحد بالقوى الاخرى » ومن اهم كتب الحصري في ذلك كتاب « اراء واحاديث في القومية والوطنية » و « العروبة بين دعاتها وخصومها » .

قلنا ان ادب المرحلة الاخيرة ـ فيما يتصل بمقاومة المستعمر ـ قد اتسم بطابع ايجابي يبرز به خصائصنا الشخصية الفريدة ، لكي نقف على اقدامنا ولا يجرفنا تيار الشمول ، الذي يسود فيه القوى ويضيع بين امواجه الضعيف ، وكان من اهم ما عني به الادباء في هذا الاتجاه الايجابي البناء ، استخراج اصولنا من لفائف التراث الشعبي ، فأخذوا يتقصون الشعبية والاغاني الشعبية والاساطير الشعبية ، حتى لقد صدرت مجلة فصلية باشراف الدكتور عبد الحميد يونس لتختص في عرض التراث الشعبي وتحليله وتقويمه ، ليفيد منه كتاب القصة والمسرحية كما يفيد منه المصورون والنحاتون والشعراء ، فاذا اضفنا الى هذه الحركة حركة اخرى لبثت قائمة منذ فجر نهضتنا في أول القرن والى يومنا ، واعني بها حركة نشر التراث العربي وتحقيقه ، تبين لنا الاساس العريض المكين الذي نريد ان نقيم على ركائزه المجتمع العربي الجديد ، وعندئذ لا نقول ان الجديد قد جاء ليعارض القديم ويدحضه ، بل نقول ان الجديد قد جاء ليجد رواسبه في عروق الماضي وشرايينه ، وبهذا يتصل بنا تاريخنا ماضيا بحاضر ، فلا تكون فترة الاستعمار في هذا الطريق الطويل الموصول الا بمثابة غشاوة طرأت حينا على الجسم عندما اخذته العلة وسرعان ما اختفت حين استرد العليل عافيته وقوته.

القاهرة — **زكي نجيب محمود**

صدر حديثا

باباهمنغواي

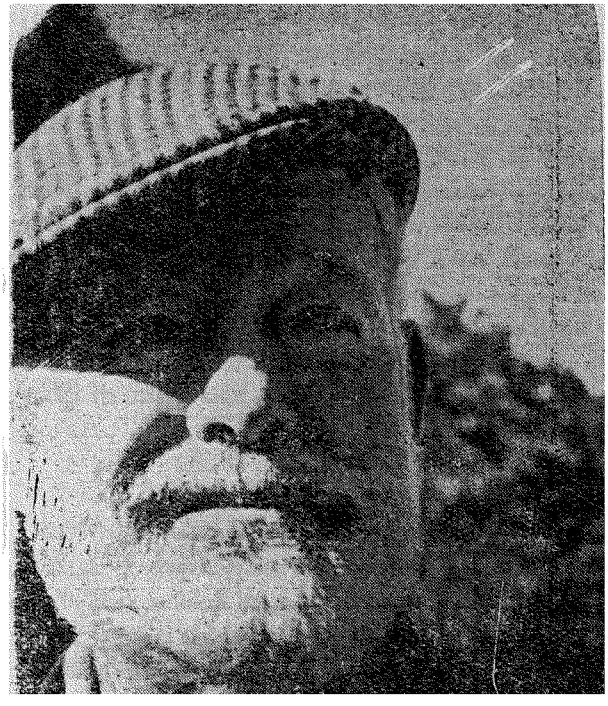

بقلم ا. هوتشنر

ترجمة ماهر البطوطي

هوتشنر صحفي شاب اقبل على همنغواي يطلب منه حديثا ادبيا وهو يقول له : « اذا لم تعطني الحديث ، طردوني من الصحيفة » فاستجاب الروائي الاميركي الكبير للصحفي الذي اصبح صديقا يلازمه كظله طوال اربعة عشر عاما ، حتى موته .

و « بابا همنغواي » هو الكتاب الذي اصدره هوتشنر اخيرا عن حياةهمنغواي وكتبه باسلوب روائي شبيه باسلوب همنغواي نفسه ، وكشف فيه النقاب عن ان الكاتب الاميركي انتحر انتحارا ، ولم يقتل خطأ وهو يقلب مسدسه ، كما زعمت زوجته التي اقامت الدعوى الان على هوتشنر بسبب الاسرار الكثيرة التي كشف عنها في كتابه والمتعلقة بحياة همنغواي الخاصة ، ومنها اتهامه باغواء فتاة قاصرة في اسبانيا ومحاولته التهرب من دفع الضرائب الخ ..

كتاب ممتع لا يزال يثير ضجة كبيرة في اوساط العالم الادبية .

منشورات دار الاداب